الفصل الثالث:

المقارنة بين المعرفة والعلم

يتطلّب الوقوف على دلالات العلم والمعرفة بغية تحديد مفهومهما، الخوض في مباحث العلماء الفكريّة متعدّدة الألوان والاتجاهات اللغويّة والعقديّة؛ لأنهم يتصرّفون بالألفاظ ويطوعون معانيها لأفكارهم، وينقلون دلالتها إلى عرفهم؛ لذا كان الرجوع إلى الأصل اللغويّ مهمّ لفهم الدَّلالة وتحديد الحقل الدلاليّ لضبط المصطلحين. وللعلم درجات من حيث الشكّ والظنّ واليقين، وفيه حركة للفكر في المعقولات، كما أنّ فيه انقداح فكر وخاطر، وسرعة بديهة وذكاء، وقد يكون العلم علماً مجرّداً سطحيّاً، وقد يكون علماً مستغرقاً عميقاً أو فقهاً. لذلك كلّه نجد أنّ للعلم أو المعرفة مرادفات كثيرة، وكان لكلّ مرادف علاقة بالعلم الشامل من جهة ما، واختصاص من جهة أخرى.

أولاً: الفروق اللغويّة والاصطلاحيّة

تحديد الفروق بين العلم والمعرفة يكون بالبحث في الدلالات المعجميّة والاستعماليّة، وتحليل مادّة كلّ منها، ومتابعة الأصول باستقراء المادّة في المعاجم اللغويّة والاصطلاحيّة.

١ - الفروق اللغويّة:

نتيجة للتداخل بين مصطلحيّ العلم والمعرفة فلا مندوحة من تتبّع المصطلحين لضبط الفروق بينهما، ولأنّ لكلّ مصطلح علاقة بأصله اللغويّ

كان لزاماً علينا الرجوع إلى المعاجم.

فالعلم سُمّي علماً من العلامة؛ وهي الدَّلالة والإشارة، أمّا المعرفة فهي من العرف ضدّ النكر، والعرفان خلاف الجهل. وتَعَرَّفْتُ ما عند فلان، مصدره التعَرُّف: تَطَلُّب الشيء. والمعرفة حاصلة بعد عدم، وذلك العدم هو إمّا لجهل أصليّ بالشيء أو لنسيان بعد معرفة، فكان عدماً بين معرفتين، فكأنّ الشيء كان مختفياً عن الذهن، ثمّ تجلّى أمامه بارتفاعه وعلوّه عن غيره من المدركات في تلك اللحظة، والمعرفة فعلها يقع على مفعول واحد، فتقول: عرفت الدار، قال تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يوسف: ٥٨]، ويقتضي فعل العلم مفعولين: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠].

هناك قرب بين معنى العلم ومعنى المعرفة، ذلك أنّ كلاً منها يُعدّ دلالة على شيء، وإن كانت المعرفة تدلّ على ما ارتفع، وتأتي بمعنى المجازاة، وفي المعرفة علم بسبب المجازاة، وفيها علم وعمل. ومن ثمّ كانت معرفة الله تعالى: العلم اليقينيّ به، وعمل ما يتناسب مع قدره سبحانه، والمعرفة تشمل في معانيها الاعتراف والإقرار، وهما علم وأدلة.

٢- الفروق الاصطلاحيّة:

المعرفة عند بعضهم أخصّ من العلم؛ لأنها عِلمٌ بعَيْن الشيء مُفَصَّلاً عما سواه، وكل معرفة علم، وليس كل علم معرفة، لأن لفظ المعرفة يُفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ العلم لا يفيد ذلك. والمعرفة تقال فيما يُتَوصل إليه بتفكر وتدبر، وتستعمل فيما تدرك آثاره، ولا يدرك ذاته، تقول: عرفت الله،

والعلم يستعمل فيما يدرك ذاته. وحال الإبهام تقول عرفت زيداً؛ ولا تقول علمت زيداً.

وقيل العلم يكون بالاكتساب فخصَّ به الإنسان، والمعرفة بالجبلة؛ وقيل: العلم أخصّ من المعرفة لأنها قبله؛ إذ تكون مع كلّ علم معرفة، وليس مع كلّ معرفة علم. والمعرفة هي ثمرة التقابل والاتصال بين الذات المدركة والموضوع المدرك، وتتميّز من باقي معطيات الشعور؛ من حيث أنها تقوم في آن واحد على التقابل والاتحاد الوثيق بين هذين الطرفين. فالمعرفة تقال على استثبات المحصول المُدْرَك، خصوصاً إذا تكرّر إدراكه، فيقال لذلك الإدراك الثاني بهذا الشرط (معرِفة). والمعرفة عند جمهور الناس أصلها قد يقع ضروريّاً فطريّاً، وقد يحتاج إلى النظر والاستدلال. وقيل: إنّ المعرفة نتيجة العقل: "العقل غريزة، والمعرفة عنه تكون."

ويرى البعض أنّ المعرفة لا تكون إلا مكتسبة، والعلم يقال لإدراك الكليّ أو المركّب، والمعرفة تقال لإدراك الجزئيّ أو البسيط. والمعرفة تنصرف إلى ذات المسمّى، أمّا العلم فينصرف إلى أحواله من فضل ونقص؛ لذا جاء الأمر في القرآن بالعلم من غير المعرفة، وميّز بينهما. يقابله في الضدّ الجهل والهوى، أمّا المعرفة فهي ضدّ الإنكار والجحود.

ورد كلا اللفظين في القرآن الكريم، فلفظ المعرفة كقوله تعالى: ﴿مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٦]، وفي ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، أمّا لفظ "العلم" فهو أوسع إطلاقاً، كقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمّد: ١٩]، وقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤]، وغيرها كثير.

والله سبحانه وصف نفسه بأنه "عالم"، و"عليم وعلام ويعلم"، وأخبر أنّ له علماً، فالفرق بين إضافة العلم إلى الله تعالى وعدم إضافة المعرفة يرجع إلى المعرفة نفسها ومعناها.

ثانياً: المصطلحات المرادفة للعلم والمعرفة في القرآن الكريم

أخذ العلم مفهوماً جامعاً لمعانٍ كثيرة؛ لأنّ العلم أو المعرفة علاقة بين عالم ومعلوم، وبين ذات عارفة، فهو من جهة ذاتيّ، ومن جهة أخرى موضوعيّ؛ أي له موضوع متحقّق في الخارج، وهو درجات تبدأ من الحسّ إلى التجريد العقليّ، ثمّ الحفظ والتذكّر، ثمّ التفكّر والتدبّر. وله درجات من حيث الشكّ والظنّ واليقين، وفيه حركة للفكر في المعقولات، كما أنّ فيه انقداح فكر وخاطر، وسرعة بديهة وذكاء، وقد يكون العلم علماً مجرّداً سطحيّاً، وقد يكون علماً مستغرقاً عميقاً أو فقهاً.

وهنا نقف على أهم هذه المرادفات، ومنها: الأَذْن: العِلم، الاسم من أذِن يأذَنُ، مصدره بمعنى الإعلام، وقد ورد في القرآن بأكثر من صيغة دالاً على معنى الإعلام والإخبار. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧]؛ ومنها البصير: العليم بالشيء الخبير به: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ [طه: ٩٦]؛ أي علمت ما لم يعلموا. والحس: مأخوذ من إصابة الحاسّة، من الثلاثي حَسّ، والإحساس

الوجود والمشاهدة، ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧]؛ أي: فتعرَّفُوا منهما وتطلَّبوا خبرهما، والحكمة: هي العلم بالأمور العمليّة فقط، والعلم أعمّ منها. والخبر: وهو العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر. والخُبر بالضمّ، هو العلم بالشيء مع بيانه ﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨﴾ [الكهف: ٦٨]؛ والخِبرة: المعرفة ببواطن الأمور. والدَّرك: والإدراك هو اللقاء والوصول، والذكر: وهو هيئة للنفس، بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، "﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩﴾ [يس: ٦٩]. والرأي: النظر بالعين والقلب، والسؤال: استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى معرفة، والشعور: علم الشيء عن علم حِسّ، ومنها: وما يشعركم: ما يدريكم. والظنّ: علم يحصل من مجرّد أمارة، والظنّ والشكّ والتجوّز نظائر، إلا أنّ الظنّ فيه قوّة على أحد الأمرين دون الآخر. والعقل: ضدّ الجهل، وهو مجموعة علوم لأجلها يمتنع الحيّ عن كثير من المقبِّحات، ويفعل كثيراً من الواجبات. ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [العنكبوت: ٤٣]. والفقه: هو العلم بالشيء والفهم له والفطنة، ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٨٧﴾ [التوبة: ٨٧] والفهم: هو سرعة الفطنة وتوقّدها، وسرعة انتقال النفس من الأمور الخارجيّة إلى غيرها؛ والنظر: هو الإقبال على الشيء بالبصر، والوعي: معناه الجمع والحفظ، وجاء بمعنى التفكّر والتدبّر ولما يحفظ، ﴿لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ١٢﴾ [الحاقّة: ١٢]. واليقين: يعبّر عن التحقّق وإزاحة الشكّ والإدراك الواثق الذي لا يلتبس بوَهم أو ظنّ أو تخمين أوارتياب. واليقين هو العلم بالشيء بعد أن كان شاكاً

فيه، وذلك بعد أن تكثر الدلائل وتتوافق وتتطابق فتصير سبباً لحصول اليقين على سبيل الثقة؛ لذا كان كلّ يقين علماً، وليس كلّ علم يقيناً. فهو فوق المعرفة والدراسة، ولا يقال معرفة يقين؛ لأنّ اليقين من صفة العلم.